الفصل الخامس

تربية المقاومة في الفكر الغربي "دروس مستفادة لإثراء الفكر والتربية العربيين"

أولا: الخلاصة وأهم النتائج.

ثانيا: تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي.

obeikan.com

obeikan.com

أولا: الخلاصة وأهم النتائج.

خلص العمل الحالي إلى أن الرحلة الفكرية الفلسفية والأدبية لجان بول سارتر تدور حول عدة محاور أساسية ، تلك التي شكلت رؤيته تجاه العديد من القضايا ومنها فكر المقاومة ، **من هذه المحاور ما يلي:**

1. الفكر الوجودي الثوري الذي صبغ رؤيته للقضايا الفكرية والأدبية كالحرية ومسئولية الإنسان ، وقضية الالتزام وغيرها من قضايا مازالت مطروحة على الساحة الفلسفية والفكرية في القرن الحالي.

2. استخدام سارتر الأسطورة وتوظيفها في إضفاء إسقاطاته السياسية كما فعل في مسرحية الذباب لتأصيل فكر المقاومة.

3. انحيازه الجريء إلى الشعوب المناضلة والمضطهدة ووقوفه بجانبها ضد ظلم واستبداد المحتل ، ورفضه لكل مظاهر الانكسار.

4. تميزت أعمال جان بول سارتر بأنها جمعت بين براعة اللغة وحرية الفكر وجمال الأسلوب والرؤية المتفردة ، خاصة الأعمال الأدبية التي عكست عديد من القضايا والهموم المحلية والعالمية التي حمل بها القارئ والمتلقي إلى عالم أكثر حرية وإنسانية ، فكان من أكثر المعبرين عن هموم القرن العشرين.

5. اتسمت فترة حياة سارتر بالقلاقل والحروب الساخنة والباردة ، فعاصر الحرب العالمية الأولى وشارك في الحرب العالمية الثانية وحاول تجنب الحرب الباردة ، إلا أن قلمه أبى أن يسكت فكان صاحب موقف على الدوام ، واتضح ذلك من خلال أرائه عن سياسة الهيمنة على الآخر التي تتبعها الولايات المتحدة

obeikan.com

الأمريكية وغيرها من آراء تأبى الظلم والاستبداد. فكان فيلسوفا وأديبًا صادقًا جريئًا ترك فكرًا وأدبًا مازال في حاجة إلى مزيد من الدراسات.

6. قدم سارتر مسرحية الذباب لتدعيم حركة المقاومة وأعضائها في فرنسا إبان الاحتلال النازي وأراد بها دفع الشعب الفرنسي إلى مقاومة كل رموز الاستبداد.

هذا وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج يمكن عرض أهمها فيما يلي:

- أكدت الدراسة أن سارتر فيلسوف القرن العشرين من أكبر منظري هذا القرن تفاعل مع أحداثه وقضاياه الفكرية ، قاوم وحارب كل استغلال وظلم على المستوى المحلى والعالمي واتضح ذلك من مواقفه من قضية الجزائر وفيتنام وغيرها.
- أكدت الدراسة أن المسرح فاعل تربوي مهم ، يلعب دورا يصعب تجاهله في حياة الشعوب ، لما يقدمه من قيم مربية ورؤى فكرية ووجدانية ، وأبعاد لتربية المقاومة لدى الإنسان ، وتجسيده للأحداث وهموم الحياة عموما.
- أوضحت الدراسة امتلاك سارتر رؤية فلسفية نقدية عميقة ، حاول من خلالها تبصير جمهور المتلقي بسلبيات الواقع المعاش ، وحثه دائما على الفعل وتحديد مصيره بنفسه ، وامتلاك القدرة على الاختيار الحر، ومقاومة كل رموز الاستبداد.
- توصلت الدراسة إلى أن هناك بعض المفاهيم مثل" الحرية - الرفض – الصراع – الزعيم – العنف – الالتزام - المسئولية - الوعي " تلك المفاهيم شكلت أفكار سارتر عن أبعاد المقاومة وافتراضاتها وأسسها الفكرية التي ترتكز عليها تربية المقاومة لديه

obeikan.com

ومن تلك الأسس والأبعاد:

أ- وعي الإنسان بحريته ، ووجوده.

ب- امتلاك الإنسان القدرة على الاختيار الحر.

ت- امتلاك إرادة الفعل والمواجهة والقدرة على التغيير.

ث- حرية تقرير المصير والالتزام والمسئولية عن الفعل والاختيار.

ج- رفض القهر والظلم ، والخنوع والاستسلام..وغيرها.

- أسفرت الدراسة الحالية عن بعض أبعاد تربية المقاومة كما أسفر عنها التحليل الكيفي لمسرحية الذباب لسارتر ، وكل بعد من هذه الأبعاد محمل بقيم ومواقف داعمة لتربية المقاومة من أجل بناء الإنسان الحر المقاوم لكل مظاهر استعباده **كما يلي:**

1- **التربية لوعي الإنسان بحريته وحقيقة دوره في الحياة**: وذلك من خلال نقد الواقع المفروض ومحاولة مقاومة سلبياته ، وإيقاظ مشاعر الإنسان وتحفيزه للبحث عن الحقيقة ، رفض العبودية من خلال الوعي بالحرية حيث أن الوعي حرية كما يراه سارتر ، وتربية المقاومة بالانتقاء الثقافي وحب التثقيف. ومقاومة الوجود الزائف ، ورفض الاستسلام.

2- **التربية لحب الوطن والانتماء إليه**: برفض استباحة الوطن ، ورفض فكرة إخضاع الشعوب واستخدام العنف ، والتربية بالانتماء بإيقاظ العاطفة والحنين للذكريات.

3- **التربية لمقاومة ما يعكر صفو الحياة الإنسانية**: وذلك بمقاومة الخوف ورفض غرسه في النفوس ، وتربية التفاؤل والأمل في التغيير ، ورفض الخيانة والخديعة

بحجب قدرة الناس عن أعينهم(تزييف وعيهم) ، ورفض الخنوع والتخاذل بمقاومة القهر.

4- **التربية لغرس وإنماء القيم المربية**: ومنها محاسبة النفس بعد ارتكاب الإثم لتحقيق التحرر ، وطهارة الروح والسلام بين البشر الذي يحقق السعادة ، وكذا رفض التسامح المشوب بالذل والخنوع ، ودعم حرية الفكر والفعل ، وتحقق العيش في حرية وأمان دون تزييف ، وتطبيق القصاص لتحقيق العدل والكرامة.

وأخيرًا قد يبدي البعض الاختلاف مع بعض آراء "سارتر" إلا أن الأثر الذي تتركه هذه المسرحية ينهض الحرية والصراحة والشجاعة والجدية ، ويفتح بابًا للحوار الفكري والاجتماعي ، وآفاقا خصبة من الإبداع الفكري والفني في ذات الوقت ، مدعو فيه الإنسان إلى مقاومة نزعات الشر في ذاته وفي الآخر بمقاومة الظلم والاضطهاد. هذا وقد اتضح من خلال تحليل المسرحية الفرق بين المقاومة التحريرية والعنف ، فسارتر كان من المفكرين الذين طالما كتبوا عن المقاومة فكانت من أجل التحرير.

وما توحي به المسرحية من دلالات حول تصفية الخائنين والقصاص منهم فهو إيحاء منها للتخلص من الاحتلال ، وهى مقاومة مشروعة. وإذا كانت مسرحية الذباب عمل أراد به سارتر مساندة حركة المقاومة ، إلا أنها قد تخرج بنا من حدود الزمان(الحرب العالمية الثانية) والمكان(فرنسا المحتلة)المحددين إلى الدعوة المطلقة للحرية والسلام واليقظة الثورية ، ونبذ القهر والقمع. إنها دعوة لتأصيل

obeikan.com

الحرية وتنميتها في الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية وبالأحرى التربوية ، مع احترام الخصوصية الثقافية.

ثانيا: تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي.

حاولت الدراسة الحالية تقديم تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي كما يلي:

إن المثقف الحق ينقد بنزاهة الأوضاع المجتمعية السياسية منها والاقتصادية والثقافية وغيرها. ويدعو إلى تغيير هذه الأوضاع طارحا البدائل الأفضل. وجان بول سارتر أديبا وفيلسوفا عالميا نقد بحرية ودعا إلى الالتزام ومقاومة الظلم واستدعى من خلال كتاباته وخاصة المسرحية منها ، لدى الجمهور عديد من القناعات والمواقف والأبعاد المختلفة لتربية الإنسان المقاوم ، التي طالما تحولت إلى مواقف حياتية قد يتحقق من خلالها أهدافا مربية في جمهور المتلقي.

وفي إطار العمل التربوي **نقدم منها ما يلي:**

1- توجيه حرية الأفكار والأفعال نحو التزاوج مع المسئولية في العمل التربوي لمقاومة الجمود ومسايرة التغيير الإيجابي.

2- رفض كل مظاهر الظلم والقهر ، والتفاوت في العملية التعليمية لمحاولة دعم المساواة.

3- تربية التفكير النقدي وممارسة مع الذات والآخر. وهذا يعزز الدخول في مجتمع المعرفة بشكل فاعل.

4- تشكيل الإنسان الملتزم... وتوصيف آليات هذا التشكيل.

obeikan.com

5- تفعيل المسرح المدرسي في إطار خلق مدرسة جاذبة للطفل وتقليص مقاومته لحب المدرسة ، بالاستعانة بالأبعاد المربية في النص المسرحي والأدبي عموما ومحاولة تفعيلها.

6- خلق هدف مجتمعي عام يدور حول بناء الإنسان الحر المقاوم المبدع والذي يلتف حوله الجميع في محاولة تحقيقه ، من أدباء ومثقفين وفلاسفة وعلماء ممن قدموا ويقدموا دراسات عميقة وذات مصداقية في مجالاتهم.

مما يتطلب النظرة الناقدة للفكر والواقع كما يتطلب تأصيلا تربويا لفكر المقاومة لكل ما يعوق طريق المجتمع لتحقيق تقدمه ، من ثم تأكيد الدور الفاعل لتربية المقاومة وأهمية بناء الإنسان المقاوم خاصة في الوقت الراهن الذي يموج بالعديد من آليات الاختراق والهيمنة على جميع الأصعدة.

ولما كان سارتر فيلسوف وجودي يسعى لامتلاك المواقف الإنسانية في تكاملها الفعلي الملموس ، فهناك من المواقف والمضامين المربية التي تمثل دروسا مستفادة تميز بها النص المسرحي في فكر سارتر يمكن الإفادة منها في الفكر والفعل التربوي وخاصة التعليمي ، في وضع السياسات التعليمية وتنفيذ هذه السياسات في شكل أفعال على أرض الواقع التربوي في وضع وتحديد الأهداف وفي اختيار المحتوى والمناهج وطرق التدريس والوسائل والأساليب المستخدمة ، بل والمناخ الذي يتم فيه الفعل التربوي ، من أجل تحقيق غاية بناء الإنسان الحر المبدع المقاوم **كما يلي:**

أولا: تحديد أهداف التربية والتعليم واستنفار الهمم وشحذ العقول لتحقيقها:

obeikan.com

فتحديد الأهداف تقي من التخبط والعشوائية في العمل التربوي ، والتي تحتاج إلى عزيمة الرجال الصادقين لتحقيقها. فيرى سارتر أنه :"إذا اختار الكاتب أن يصوب فيجب أن يكون له تصويب رجل ينظر إلى أهداف ، لا تصويب طفل مغمض العينين ومن دون غرض سوى السرور بسماع الدوي"(سارتر، 2005 ، 28) وهذا يدعو إلى الوعي بأهمية التفكير النقدي في تحديد تلك الأهداف وطرائق تحقيقها.

ثانيا: سؤال القصدية عن القول والفعل ليعي الإنسان حريته وحقيقة دوره

فيسأل سارتر الكاتب مثلا لماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ وهذا ما يتزواج مع فكر فلسفة التربية النقدية لماذا نربى؟ ومن نربى؟ وكيف نربي؟ وهى أسئلة عن طبيعة الإنسان الذي يقع تحت فعل التربية وطبيعة احتياجاته ومتطلباته ، وما الغاية من ذلك؟ وبأية وسائل وطرق يمكن الوصول إلى تلك الغايات. وهذا بمثابة استراتيجية في بناء الإنسان يقوم عليها المجتمع الذي يبني مشروعا حضاريا قوامه بناء الإنسان وتحقيق التنمية المستدامة.

ثالثا: التلازم بين القول والعمل ، بين النظر والتطبيق لتحقيق الالتزام وتربية المقاومة:

فيقول سارتر: "إن الكلام عمل" وهذا في إطار مبدأ الالتزام. حيث الصمت أيضا لحظة من لحظات الكلام ، فهو أيضا يعبر عن موقف يلتزمه الإنسان ، ووسائل مربية يكرسها المعلم ويحسن استخدامها. فقد يعود العزوف عن الذهاب إلى المدرسة نتيجة للفصل التعسفي بين النظر والتطبيق ، وخروج المنهاج التربوي عن تلبية حاجات ومتطلبات المتعلم والمجتمع. مما أدى إلى النفور من المدرسة ،

وبالمثل من الثقافة والفكر المنفصلين عن حياة الشعوب. إذ أنها تربي الاعتماد والتبعية والاستسلام ، ولا تربي المبادأة والإبداع وهذا يرفضه "سارتر" وتربية المقاومة تدعم التواصل والتلاحم بين الكلام والفعل وتحض عليه. مما يدعو التربية عامة إلى مقاومة اللفظية والتلقين ذلك الذي يضعف إرادة التغيير لدى الإنسان ، ويكرس للعجز والهروب من تحمل المسئولية ، بدلا من مقاومة الترويض الفكري والخنوع لسلطة ما تحول دون تكوين الإنسان الحر المقاوم.

رابعا: المعلم ومهمة السعي الدائم إلى تعديل السلوك في إطار "نسق قيمي مربي" يمثل المعايير الحاكمة للسلوك ، بدعم الجيد منه ، ورفض ومقاومة الآخر السلبي :

وهذا يدعم المتعلم "الإنسان" ويمكنه من مقاومة كل ما يحول دون تأكيد ذاته في ظل احترام ذات وحرية الآخر. والذي إذا اقترن مع موقف القصدية السابق سيكون التعديل دائما للأفضل. فيسأل سارتر عن أية تغيير يريد الكاتب تحقيقه من خلال العمل ، وربط ذلك بالصفة الإنسانية (وهذه أسئلة مربية في المقام الأول) " إنما الكلام عمل ... إذا سميت سلوك إنسان فقد أوحيت به إليه... فإما أن يواظب على ما كان عليه من سلوك ، وإما أن يرتد عنه(سارتر ،2005 ، 27) و"المعلم" هنا هو العنصر البشري المباشر الذي يجب أن يتمثل هذه المواقف ويجيب عنها.

خامسا: السعي الطموح والأمل والتفاؤل مع العمل المتقن:

دون ذلك يعني موت الإنسان واستسلامه بغير مقاومة. فمقولة سارتر "فعلي هو حريتي" تدفع لرؤية العمل الجاد مع التطلع إلى كامل النجاح أمر مهم لدى الإنسان يضفي مزيدا من التفاؤل والأمل في تحقيق نتائج جيدة ، ويجعل الفرد

يقاوم ما يقابله من صعوبات بصمود ومثابرة عاليين. وهذه أبعاد مربية تدفع الفرد"المتعلم" لمزيد من التعلم والترقي.

سادسا: توظيف الصمت كأسلوب وفعل تربوي:

فالصمت لحظة من لحظات الكلام ، فليس السكوت بكما ولكنه رفض للتكلم ، إذن فهو نوع من الكلام. ويستطيع المعلم أن يحقق كثيرا من الأهداف وغرس الاتجاهات من خلال الصمت المعبر والموجه بفطنة لتغيير أو تعديل سلوك ما أو غرس سلوك آخر في المتعلم.

سابعا: أهمية دعم وتوظيف القراءة والإطلاع كإبداع موجه :

إن تحقيق القراءة كنشاط يومي يقوم به المتعلم ، يرتبط بتحقيق هدف التعلم الذاتي الذي يمثل جزء ضروري في التربية المعاصرة خاصة في ظل التدفق المعرفي الراهن. فقد كان العقاد يرى القراءة من منظور أنها تمنحه حيوات متعددة حيث أن حياة واحدة لا تكفي ، فكان مثلا راقيا للتحدي من أجل التعلم الذاتي. فالقراءة كما سلف أن أشار البحث يراها سارتر، إبداعا موجها مكمل لعملية الكتابة وحرية القارىء. وهذا يمثل هدفا تربويا تنمويا يتطلب التخطيط له ، ودعمه المستمر لدى النشء. إذ أن مجتمع المعرفة يتطلب القراءة الواعية من أجل البناء والاستثمار المعرفي المنشود.

ثامنا: تأكيد النظرة الإنسانية للمتعلم:

وترتبط هذه النقطة بالفلسفة الوجودية عاما ونزعتها الإنسانية ، كما ترتبط بفكر سارتر خاصة فيما يتعلق بنظرته الناقدة للمؤسسات ومنها المؤسسات التعليمية ، إذ يتم "تشيؤ" الإنسان والنظر إليه وكأنه سلعة فتضعف مقاومته أمام

هذا التسيد للمادة على حساب المعاني والقيم لديه. من ثم يتأكد ضرورة النظر للمتعلم وللفرد عموما على أنه "إنسان" له حرية الاختيار والفعل مع مراعاة الآخر.

هذا وفي إمكان المدرسة ووسائط التربية بعامة توظيف هذه المواقف وترجمتها إلى سلوكيات حقيقية تسهم في بناء الإنسان. إذ في ظل تداعيات العولمة الجارفة اليوم ، يكون هذا الإنسان أحوج ما يكون إلى تناغم وتماسك الوسائط التربوية القائمة على بنائه لتحقيق فكر وفعل المقاومة لكل رموز الظلم والاستبداد والطغيان في الواقع ، والتي تحول دون حق الإنسان في الحرية "التي تحترم حرية الآخر". وهذا يتطلب توافر الآليات والأساليب الداعمة لمضامين وأبعاد المقاومة وغرسها في النشء منذ الصغر. من ثم يكون العبء الأكبر في تحقيق هذه المهام في البداية يقع على عاتق الأسرة ، ثم يترافق معها دور منوط بالمدرسة ، ووسائط التربية الأخرى ، خاصة جهاز الإعلام بعمل تغطية داعمة ومستمرة تسهم بفعالية في مهمة بناء الإنسان "الحر المبدع المقاوم"لتتحول تربية المقاومة إلى سلوك ومنهج وأسلوب حياة.